ومع هذا الازدحام في شوارع لندن تراها دائمًا نظيفة خالية من كل الروائح الخبيثة حتى مواقف المركبات لا رائحة خبيثة فيها . وممَّا هو من الغرابة بمكان انهُ ينبعث من بعض الشوارع ارج طيب كرائحة الصابون الانكليزي المطيب او كرائحة العقار المسمى باسم سنتاس كأن اهالي لندن يذرون هذا العقار في شوارعهم تطييبًا لرائحتها حتى يصح فيها قول ابن الوردي

هي دار مملكة الرضا فلاجلِ ذا قد أُسبلت دون الهموم ستورها
جمعت فنون الطيب في افنائها وعلا على المسكِ الذكي عبيرها

مستقبل الانسان

تابع ما قبلهُ

ارتقت الاحياء على وجه البسيطة من ابسط الانواع التي لا فم لها ولا عين ولا اذن ولا لسان الى ان بلغت ما بلغتهُ من الارتقاء في نوع الانسان. وارتقى الانسان من حال البساطة والبربريَّة الى ان تسلط على هذه البسيطة وجعلها فردوسًا طافحًا باللاذ

ولم تلبث شعوب الارض ان ابطلت الحروب واسبابها على ما تقدم في الجزء الماضي حتى زادت الثروة والرفاهة وقلَّ التعب والنصب وانصرف همُّ الانسان الى تسخير قوى الطبيعة التي لم يسخرها قبلاً

وارتقى العقل ارتقاء عظيمًا وصار الناس يهزأون باسلافهم الذين كانوا يكتفون بالظواهر ويغضون عن الحقائق . وعلموا ان السعادة الحقيقيَّة مقرها النفس وان القناعة انما تكون بالدرس والعلم وان الحياة قصيرة ويجب ان لا تنفق في السفاسف . وقرَّ الجميع عينًا وطابوا نفسًا بما نالوهُ من حريَّة الرأي والازدراء بحطام الدنيا

وزادت المرأة جمالاً وزاد قدُّها اعتدالاً وعيناها غزلاً وبشرتها بياضًا وشعرها طولاً وغزارةً وثغرها صغرًا وانتظمت اسنانها انتظام اللآلىء في كؤوس المرجان

وطال العمر باتقان الوسائط الطبيَّة والصحيَّة فصار مئة وخمسين عامًا او اكثر ولم يجد الانسان سبيلاً للخلود في هذه الدنيا ولكنهُ وجد سبيلاً لتأخير الشيخوخة وحفظ الشباب فصار ابن مئة عام كابن عشرين عامًا في العصور الغابرة

وسخر الانسان حرارة باطن الارض ونور الشمس وحرارتها ومغنطيسيَّة الارض

وكهربائية الهواء وجاذبية السيارات والقوى النفسية. لكنهُ وصل الى حد لم يستطع ان يتعداهُ وبلغ ارتقاؤهُ أوجهُ واخذ يميل الى الانحطاط كمن يصعد الى قمة اكمة ثم ينحدر على الجانب الآخر منها. وانذرهُ هذا الانحدار بان كل ما بلغهُ من الارتقاء سيتلاشى ويصير في خبر كان لان كل ما لهُ بداية لهُ نهاية . والموت هو الوارث الاخير لكل ما كان وما سيكون على وجه هذه البسيطة

وقد وُجد الانسان على وجه الارض قبل العصر الجليدي الذي مضى عليهِ الآن مئتا الف عام ويغلبُ على الظن انهُ كان انساناً منذ مئتين وخمسينَ الف عام وعبرت اجيالهُ على الارض عبور الظل ولم يبقَ منها الاَّ رفات بالية

وقد كان سكان المسكونة نحو الف مليون نفس في عصر الاسكندر المكدوني وبلغوا الفاً وخمس مئة مليون في آخر القرن التاسع عشر والفي مليون في القرن العشرين وثلاثة آلاف مليون في القرن التاسع والعشرين. وغاية ما بلغ اليهِ سكان المسكونة مئة الف مليون من النفوس ثم اخذوا ينقصون الى ان اضمحلُّوا واضمحلَّ معهم كل ما في هذه الارض الفانية

وقد تغير نوع الانسان جسداً وعقلاً مدة العشرة ملايين سنة التي مرَّت عليهِ منذ اخذت الحوادث التاريخية تسجَّل في بطون الاوراق. لكنهُ بقي متسلطاً على سائر المخلوقات ولم يفقهُ نوع آخر من انواع الحيوان ولا هبط على الارض مخلوق آخر من السماء. ثم دالت دولتهُ وادركهُ الدور الذي يدرك كل حي بما طرأ على الارض من التغير العظيم. فان حرارتها المركزية زالت اولاً ثم ضعفت حرارة الشمس الواردة اليها فبرد جو الارض برداً شديداً وفعلت الامطار والثلوج بجبالها فعلاً ذريعاً فتتتها وجرفتها الى قاع البحار ولم يمضِ تسعة ملايين سنة حتى زالت الجبال عن وجه البسيطة.

(ومعلوم انهُ لا يمكن الجزم المطلق بان هذه الامور تجري على ما تقدَّم لان معارف الانسان لا تحسب شيئاً بالنسبة الى الحق المجرَّد. وشأننا في ايلائنا بهذه الامور شأن نملتين تتذاكران في تاريخ مملكة عظيمة من ممالك الارض لكننا قد أعطينا العقل لنستدل بهِ. واستعمالهُ ولو خطأً خير من تقييدهِ بقيود الجهالة والخمول . وقد استدللنا بهذا العقل على ان الارض اصغر من الشمس وانها بردت قبلها وان المشتري مثلاً اكبر من الارض ولم يزل في عنفوان الشبيبة وان القمر اصغر من المريخ وقد بلغ حد الشيخوخة والمريخ اصغر من الارض وقد شاخ اكثر منها واقل من القمر ومنازل الحياة من كرتنا الارضية قبلما تزول من المشتري . ومعلوم ان قطر المشتري عشرة اضعاف قطر الارض وقطر

الشمس عشرة اضعاف قطر المشتري ولذلك لا عجب اذا بقي المشتري حيًّا بعد هرم الارض والزهرة والمريخ وعطارد وموتهنَّ . والارض معرَّضة لكثير من الآفات كالاصطدام بالنجوم والشموس وذوات الاذناب ولكنها قد لا تصطدم بها بل تبقى الى ان يدركها الهرم)

وفي الارض عنصر لازم للحياة وهو داخل في كل مادة حيوانيَّة ونباتيَّة وعليهِ مدار تغيرات الفصول والاقاليم وهذا العنصر هو الماء وقد قلَّ مقدارهُ رويدًا رويدًا بكرور الايام وتوالي العصور لان جانبًا منهُ غار في الارض ولم يعُد الى سطحها ولاسيما بعد ان برد باطنها وانتشرت حرارتهُ في الفضاء. ومعلوم ان عشرة آلاف الف سنة كافية لذهاب الماء كلهِ عن وجه الارض ولو كان الذاهب منهُ في السنة شيئًا طفيفًا جدًّا . ولما قلَّ الماء عن سطح الارض قلَّ البخار في الجو واشتدَّ برد الهواء لان البخار هو الذي يحفظ الحرارة فلم تعد حرارة الشمس كافية لحفظ الحياة الحيوانيَّة والنباتيَّة. وقبل ان حدث ذلك بقليل اي بعد مضي ثمانية آلاف الف سنة كانت المياه لم تزل على وجه البسيطة ولو كانت البحار قد صارت رقارق قريبة القاع ولذلك بقي البخار في الهواء وكثر الثلج عند القطبين وفي تلك الاثناء بلغ نوع الانسان اوج مجدهِ ومن ثمَّ اخذت اسباب الحياة تضعف واخذ نوع الانسان ينقرض الَّا انها لم تضعف دفعة واحدة فبقي النوع راقيًا اوج مجدهِ اكثر من مئة الف سنة وفي غضونها بلغ غاية الارتقاء جسدًا وعقلاً ونفسًا وعملاً . وكان جل اعتمادهِ على حرارة الارض المركزيَّة بعد ان نفد الوقود كلهُ فلما نفدت استخدم الوسائط لخزن حرارة الشمس واستعمالها. وارتقت قوى النفس ارتقاء عظيمًا وصارت نفوس الناس تفعل بعضها ببعض على ابعاد شاسعة بل صارت تخاطب مع سكان المريخ والزهرة . وزالت الشرور والمفاسد عن وجه البسيطة وانتفى منها كل ظلم وجور . وبقي الانسان لحمًا وعظمًا ولكنهُ ارتقى ارتقاء عظيمًا فصارت نسبتهُ الى ابن القرن التاسع عشر نسبة هذا الى ادنى انواع القرود . وغلب على الظن ان نوع الانسان لا ينحط عن الدرجة التي وصل اليها لكن الارض تغيرت تغيُّرًا عظيمًا كما تقدَّم فلم تعُد صالحة لسكناهُ لان الماء غار فيها وزالت البحار عن وجهها ولم يبقَ الَّا قليل منها بقرب خط الاستواء وجمدت القطبان وانتشر الجمد الى المنطقتين المعتدلتين وهاجر الناس نحو خط الاستواء وقل المطر وجفت الينابيع وقلَّ البخار المائي في الهواء ويبست الاشجار وزالت اكثر انواع النبات . وتناول هذا التغير انواع الحيوان ايضًا فانقرضت الانواع العليا وتولدت انواع أُخرى غيرها

وبقيت حرارة الشمس على ما كانت عليهِ تقريباً ولم تنقص الاَّ نحو العشر وبقي القمر يدور حول الارض لكن دورانهُ صار بطيئاً وزاد بعدهُ عن الارض فصغر جرمهُ الظاهر. ولم تعُد الارض تتم دورتها اليوميَّة الاَّ في مئة وعشر ساعات اي صار طول النهار ٥٥ ساعة وطول الليل ٥٥ ساعة واسرع الانقراض في نوع الانسان ولم تبقَ منهُ في اواخر المليون العاشر من السنين الاَّ بقيتان صغيرتان في وادٍ بين كبيرين بقرب خط الاستواء

ولما زال البخار من الهواء كما تقدَّم بطل وقوع المطر والثلج واصفرَّت الشمس فصارت كالكهرمان . وقلَّ الهواء المحيط بالارض لكنَّ ضغطهُ بقي على حالهِ لان جرم الارض زاد كثيراً بما سقط عليها من الرجم والنيازك وبرد سطحها كثيراً لانهُ لم يبقَ بخار في الهواء ليحفظ حرارة الشمس لكن نوع الانسان صبر اولاً على هذه الطوارىء بما في عقلهِ من قوة الاختراع وفي جسدهِ من قوة الاعتياد وصار يستخرج غذاءهُ من الهواء والمياه التي في باطن الارض وبنى بيوتاً كبيرة سقفها بالزجاج لكي يحفظ فيها حرارة الشمس وسهل عليهِ ذلك لان الشمس كانت تشرق خمساً وخمسين ساعة متوالية كل يوم لا غيم يحجبها ولا سحاب يظللها . وصار متوسط حرارة الهواء عشر درجات تحت الصفر بقرب خط الاستواء اما المناطق المعتدلة والقطبيَّة فاشتد البرد فيها كثيراً ولم يعد فيها حي لا من الحيوان ولا من النبات وتفطت تلك الاصقاع بالجليد ونقص عدد السكان من عشرة آلاف مليون نفس الى تسعة فثمانية فسبعة . ثم نقص عددهم كثيراً ولم يبقَ منهم الاَّ بضع مئين كما تقدَّم وعادوا في اخريات ايامهم الى حال البساطة والسذاجة كما كانوا في اول عهدهم وصاروا يعيشون بما ابقاهُ لهم السلف من الوسائط العلميَّة والصناعيَّة

اما الواديان اللذان بقيت فيهما بقيَّة نوع الانسان الاخيرة فاحداها في وسط ما يسمى الآن بالاوقيانوس الباسيفيكي والاخرى الى جنوبي ما يسمى الآن بجزيرة سيلان. وكان في هذين الواديين مدينتان من الحديد والزجاج وبقي في الاولى منهما رجلان شيخان وحفيد احدهما واسمهُ اوميغار واحد هذين الشيخين فيلسوف قضى العمر في درس تاريخ النوع الانساني والآخر طبيب كان همهُ الوحيد انقاذ من بقي من شرب كاس الحمام وكانا كلاهما نحيفي الجسم مصفري اللون كالاموات وكأنهما عاشا بما فيهما من القوة الادبيَّة ولكنهما لم يستطيعا الهرب من الموت فسلَّما للقدر المحتوم واسلما الروح فلم يبقَ في نصف الكرة الغربي الاَّ اوميغار وحدهُ

وقد عرف هذا الشاب ان حياة الارض امست كالعدم وان لا مستقبل لنوع الانسان فيها وان حياتهُ ستنقضي قريباً كحلم زائل فهام على وجههِ في ذلك القصر الزجاجي وهو يفكر في ما آل اليهِ نوع الانسان الى ان توارت الشمس بالحجاب وسدلت الظلمة ستارها فغلبتهُ الهواجس ورأى طيفاً تجلّى امام عينيهِ محاطاً بالبهاء ونظر اليهِ نظر الحب والهيام فشعر كانهُ انتقل الى فردوس النعيم وللحال فتح عينيهِ فلم يرَ حولهُ الاَّ الظلام الدامس فمضى الى سريرهِ وانطرح عليهِ وهو يستعيد حلمهُ ويودُّ ان يكون حقيقةً. وقد شعر بنفسهِ ان في الارض شخصاً آخر لكن بشعورهُ كان ضعيفاً لان اسلافهُ كانوا قد انحطوا كثيرًا وضعفت فيهم القوة النفسيَّة التي كانت في اسلافهم. ولما اصبح الصباح فتح عينيهِ فلم يرَ حولهُ الاَّ مباني المدينة وجثتي الرجلين الذين ماتا بالامس فثبت لهُ انهُ الوحيد في هذه الدنيا وعزم ان يصرم حبل حياتهِ بيدهِ لينجو من هذه الوحدة وفتح خزانة وتناول منها قنينة وفتحها وادناها من فمهِ ليشرب ما فيها واذا بيدٍ مسكت بذراعهِ فالتفت يمنةً ويسرةً ولم يرَ احدًا

ومدينة الوادي الذي الى الجنوب من جزيرة سيلان مات سكانها ايضاً ولم يبقَ منهم الاَّ فتاة وحيدة اسمها حواه وآخر من مات منهم امها فانها اسلمت الروح في اليوم السابق فجلست هذه الفتاة تفكر في ما آل اليهِ حال قومها وهي عالمة انها الشخص الاخير منهم وان الموت سيوافيها قريباً فينقرض بها نوع الانسان عن وجه البسيطة ثم نظرت الى الماضي البعيد وفكَّرت في ما كان عليهِ بنات نوعها وما خامر قلوبهنَّ من الحب لازواجهنَّ واولادهنَّ فخفق فؤادها وتنفست الصعداء. وجعلت تغفل مرةً وتحلم اخرى الى ان اصبح الصباح فنهضت من فراشها وذهبت الى الحمام وفتحت حنفيَّة يصعد بها الماء من جوف الارض بواسطة الآلات الكهربائيَّة فانصبَّ على جسدها كالجين وطابت بهِ نفسها وكأنها نسيت ما كانت فيهِ من الكآبة والكرب ثم مضت الى غرفة الطعام وصبَّت قليلاً من الغذاء الصناعي في قدح وشربتهُ فانتعش جسمها وعادت الى جثة امها فامسكت بيدها وارادت ان تسترجع نفسها من عالم الارواح لان نفوس الاحياء كانت تسترجع نفوس الاموات وتتكلم معها. ولم تكن قد رأت رجلاً من بني نوعها لان آخر رجل منهم مات قبل ولادتها وبقيت هي وامها واختها ثم ماتت اختها وامها وبقيت هي وحدها. وكانت تعلم بوجود مدينة اخرى في غربي الارض ولكن البرد الشديد كان قد قطع ما بين مدينتها وتلك المدينة من الاتصال الكهربائي فنظرت الى صورة هذه المدينة في كرة ارضيَّة معلقة فوق

رأسها ثم اغمضت عينيها وجمعت افكارها على تلك المدينة فشعرت للحال انها رأت فيها انساناً وخاطبتهُ فهم خطابها وكانت قد انتقلت بنفسها الى تلك المدينة في الليل الفائت وتجلّت لاوميغار في حلم الليل ورأت في اليوم التالي وقوعهُ في بحار اليأس وعزمهُ على صرم حبل الحياة فقبضت على ذراعهِ بقوة ارادتها ومنعتهُ عن تجرُّع كأس الحمام . ثم جلست بجانب جثة امها وافكارها تائهة في الفضاء تفتش عن هذا الرفيق الوحيد في الدنيا ورآها اوميغار وشعر بها فصعد الى الدكة التي كانت المراكب الهوائية تطير منها في غابر الازمان وجلس في مركبة كهربائية واطلق لها العنان فسارت بهِ الى ان بلغت جزائر الهند ونزلت عند قصر البلور الذي فيهِ حواء فهبط عند قدميها وامسك بيدها قائلاً قد دعوتني فلبيتُ دعاءك وقد كنت عالمًا بوجودك وطالما رأيتك في هواجسي وشعرت بك في نفسي ولكنني لم اجسر ان آتي اليكِ قبل ان تدعيني

فانهضتهُ عن الارض وقالت لهُ « لقد علمتُ ياصاحِ اننا وحيدين في هذه الدنيا واننا على حافة القبر ورأيت نفسي مدفوعة الى دعوتك بقوة فوق قوتي ولعلها قوة ارادة امي وها هي قد نامت منذ امس وطال علينا الليل » فأمسك بيد امها وجثا على ركبتهِ وللحال ذُعرت حواء واوميغار لان المرأة فتحت عينيها وخاطبتهما قائلةً « قد استيقظتُ من حلم ولم تدهشني رؤيتك يا اوميغار فانظرا يا ولديَّ » قالت ذلك واشارت بيدها الى المشتري وكان مشرقًا بالمجد بالبهاء في قبة السماء ولما نظرا اليهِ ظهر كأنهُ آخذ بالاقتراب منهما ورأيا بحارهُ الوسيعة مغطاة بالسفن وجوَّهُ مشحونًا بالمراكب الهوائيَّة وعلى سطحهِ مدائن كبيرة غاصة بالسكان ولم يستطيعا ان يريا هؤلاء السكان ولاشكل بيوتهم ولا طريقة معيشتهم ولكنهما شعرا انهم مخلوقات حية ناطقة مكبة على السعي والعمل

ثم قالت لهما المرأة « ستكون من الغد في هذا الكوكب فتجد فيهِ كل بني الانسان وقد بلغوا اعلى درجات الكمال فان المشتري وريث الارض . وقد اتمت الارض عملها الذي خُلقت له ونفدت الحياة منها » قالت ذلك واغمضت عينيها واسلمت الروح

ستأتي البقية